مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

الأوضاع العامة لواحة وارجلان عقب الهجرة الإباضية (296هـ–362هـ/909-973م)

م.د. مروه مكي جعفر
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

م.د. رغد حميد ساجت
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

التخصص العام للبحث: التاريخ الاسلامي	التخصص الدقيق للبحث: تاريخ بلاد المغرب

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

الإباضية، وارجلان، بلاد السودان، التجار، العزابة

المستخلص باللغة العربية:

الاهداف: هدفت الدراسة الى معرفة الأوضاع العامة لواحة وارجلان بعد أن اصبحت ملاذاً لجموع الإباضية الفاريين من الجيوش الفاطمية عقب سيطرتهم على بلاد المغرب، واسقاط الدويلات فيه منها الدولة الرستمية الإباضية في بلاد المغرب الأوسط، وتخريب عاصمتها تاهرت، لذا هاجر الإباضيون الى مناطق مختلفة منها واحة وارجلان، التي كانت في الأصل من الأماكن المهمة للدعوة الإباضية، وأسس الأباضيون في وارجلان نظام حكم شبه مستقل عن الدولة الفاطمية.
المنهجية: اتبع الباحثان في هذه الدراسة منهج البحث التأريخي، واعتمدا على النصوص والروايات التاريخية المدونة في بطون أمهات المصادر التاريخية سواء مصادر التاريخ العام أو الخاصة بمؤرخي الإباضية، ولا نغفل أهمية الدراسات الحديثة التي رفدتنا بمعلومات وتحليلات تخص موضوع الدراسة.
الخلاصة: توصلت الدراسة الى خلاصة مفادها ان واحة وارجلان ازدهرت كثيراً عند استقرار جموع الإباضية المهاجرين اليها، الذين أمنوا طرق التجارة، ورتبوا الأمور العامة وكان لشيوخ الإباضية الأثر الكبير في تنظيم شؤونها سواء الاجتماعية او الاقتصادية وكذالك النأي بأهل وارجلان عن الصراعات السياسية في بلاد المغرب، لينعم اهلها بحياة مستقرة، ونشروا أفكار مذهبهم في عمق القارة الإفريقية.

المقدمة:

تعد واحة وارجلان حلقة الصلة بين مناطق ومدن المغرب الأوسط شمالاً وبلاد السودان جنوباً ازدهرت تجارياً واقتصادياً لعوامل عدة لعل أهمها موقعها الجغرافي المهم وكذلك في المدة التي سيطر فيها الإباضية على المنطقة سادت روح التسامح والانفتاح على الثقافات الأخرى، مما افضى الى ازدهار الحياة التجارية والثقافية والاجتماعية، وكان هناك نوع من العقد الاجتماعي العادل ما بين الحاكم والمحكوم، لذا كان موضوع دراستنا الأوضاع العامة في واحة وارجلان عقب الهجرة الاباضية (296-362هـ) تلك المدة المهمة والحساسة في تاريخ بلاد المغرب الأوسط عقب سقوط تاهرت بيد الفاطميين، وزوال امارة الرستميين الإباضية وهجرة اعداد كبيرة منهم الى ورجلان التي ازدهرت في تلك الظروف الاستثنائية .

واعتمدنا في هذا البحث على عدد كبير من كتب التأريخ لعل أهمها كتب التراث الإباضي التي ارخت لهذه الفئة وتعرفنا على أحوالهم من كتاباتهم مثل تاريخ الائمة الرستميين لابن الصغير (ت:ق3هـ)، و كتاب سير الائمة

واخبارهم لأبي زكرياء (ت:ق5هـ)، وكتب التاريخ الإسلامي مثل البيان المغرب لابن عذاري (ت:695هـ)، وتاريخ ابن خلدون (ت:808هـ) وغيرها كثيراً من المصادر والمراجع والدراسات التي اغنت البحث، ومكنتنا من استقصاء المادة التاريخية وتحليلها لأوضاع وارجلان مدة الدراسة من قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب لحين انتقالها الى مصر.

1. الجذور التاريخية للإباضية في وارجلان:

1.1 : وارجلان الموقع والتسمية:

تعد وارجلان من الواحات المهمة في قلب الصحراء الكبرى في بلاد المغرب الأوسط[1]وقد بين موقعها وتسميتها عدداً من الجغرافيين والرحالة المسلمين لعل ابرز من أوردها البكري بـ"وارجلان ، وهي سبعة حصون للبربر أكبرها يسمّى أغرم أن يكامن ، أي حصن العهود، ومنها إلى مدينة قسطيلية أربعة عشر يوما، ومن قسطيلية إلى القيروان سبعة أيّام على ما تقدّم، وبين وارجلان وقلعة أبي طويل مسيرة ثلاثة عشر يوما" (البكري، 1992،ج2، ص881)، وذكرها الادريسي باسم وارقلان فقال "ومن مدينة المسيلة إلى وارقلان اثنتا عشرة مرحلة كبار وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة[2] وبلاد نقارة[3] فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم وهم وهبية إباضية نكار خوارج في دين الإسلام" (الادريسي، 1989،مج2، ص296).

وبين طريقة لفظ اسمها وموقعها بشيء من التفصيل ياقوت الحموي فأوردها بـ" وَرْجَلانُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الجيم، وآخره نون: كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات يسكنها قوم من البربر ومجّانة، واسم مدينة هذه الكورة فجوهه" (ياقوت الحموي، 1995،ج5، ص371)، أما ابن خلدون فقد عرفها باسم واركلا باسم قبيلة واركلا من زناتة وقال "بنو واركلا وكانت فئتهم قليلة، وكانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب، بنوها قصورا متقابلة متقاربة الخطة" (ابن خلدون، 1981،ج7، ص69).

أما بالنسبة للتسمية فكما مرّ سابقاً اختلف المؤرخون فيها فمرة تذكر باسم وارجلان وأخرى وارقلان و واركلا ومنهم من ذكرها باسم وركلة (الحسن الوزان، 1983،ج2، ص136)، وحالياً معروفة باسم ورقلة واسمها الأصلي وارجلان (المدني، 1931، ص244) ووارجلان الاسم الذي ذكرته كتب التراث الاباضية (ابو زكرياء، 1982، ص20 وما بعدها؛ الدرجيني، د.ت، ص93 وما بعدها)، لذا سنعتمد على تسمية وارجلان في هذا البحث، ويبدو ان اختلاف التسميات هو بسبب تعاقب الاقوام التي سكنت المنطقة واختلاف لفظ قبيلة عن أخرى، ومما تجدر الاشارة إليه ان اغلب سكان وارجلان هم من قبيلة واركلا من بطون زناته، وبعض قبائل مغراوة وبني يفرن وايضاً هؤلاء من زناتة، وسكنها بعض الزنوج من بلاد السودان (اسماعيل، 2022، ص321).

وتكمن أهمية موقع وارجلان كونها تربط مدن المغرب الأوسط مع مناطق بلاد السودان ، تحدها شرقاً منطقة وادي ريغ وغرباً منطقة وادي ميزاب وفي الجنوب منطقة المنيعة وفي شمالها منطقة الحجيرة، وهذا الموقع اكسبها شهرة عبر مراحل التاريخ المختلفة، فضلاً عن تميزها بوفرة مياهها الباطنية، وكذلك علاقاتها التجارية مع البلدان المحيطة بها (حريشة، خالدي، و سريج، 2022، ص379).

1.2: الإباضية في وارجلان:

يبدو ان فتح وارجلان كان في عهد القائد عقبة بن نافع سنة 62هـ ، وثار أهلها عليه مع عامة قبائل البربر مع الزعيم كسيلة الأوربي[4]، ولم يذكر اسمها صراحة ولكن من وصف المناطق التي انضمت الى ثورة كسيلة التي شملت عامة بلاد المغرب يمكن القول انها فتحت على عهد عقبة وثارت مع من ثار من البربر (ابن خلدون، 1981،ج4، ص237)، وكان سبب ثورات البربر المتكررة هو سوء معاملة الفاتحين لهم، لذا نرى ان من موجبات انتشار المذاهب والفرق في بلاد المغرب هو النقمة على الفاتحيين وصاروا يأوون أي داعية تكون له أفكار مخالفة لتوجهات السلطة الحاكمة، ومن هذه الدعوات التي سرت الى بلاد المغرب هي الدعوة الإباضية، ومن المعروف أن الإباضية تعد من فرق الخوارج إلا انهم يختلفون مع باقي فرق الخوارج في مسألة تكفير القعدة -أي الذين لا يشاركون في القتال ضد الدولة الظالمة- وانتفقوا مع باقي الخوارج في مسألة ان الخلافة ليست حكراً على القرشيين كما ذهب أهل السنة، وليست لأهل البيت كما يقول الشيعة بل هي من حق كل مسلم تتوفر فيه الشروط بغض النظر عن لونه وعرقه (الاشعري، 1980، ص101)، ومن هذا المبدأ ثار عبد الله بن إباض ومن معه على الامويين المغتصبين للخلافة زمن عبد الملك بن مروان، وقتل في اليمن في معركة تبالة[5] (الشهرستاني، د.ت،ج1، ص134).

وأول داعية إباضي وطأ بلاد المغرب هو سلمة بن سعد[6]، دخلها بداية القرن الثاني للهجرة، ارسله امام الإباضية في البصرة أبو عبيدة مسلم بن ابي كريمة، وكان سلمة متحمساً لنشر هذا الفكر وقال: "وددت أن لو ظهر هذا الامر يعني -مذهب الاباضية- يوماً واحداً من أول النهار إلى اخره فلا اسف على الحياة بعده" (الدرجيني، د.ت،ج1، ص11-12)، ولاجتهاد سلمة بالدعوة وتحمس البربر ونقمتهم على السلطة الاموية يذكر انه "لم يمض عليه عشر سنوات حتى كانت دعوته تنتشر ما بين تلمسان[7] وسرت[8]، وحتى كان المذهب الإباضي مذهباً لأغلب السكان في ليبيا وتونس والجزائر" (معمر، 2008، ق1، ص145)، وبعد الاقبال المنقطع النظير الذي حظيّ به الداعي سلمة بن سعد من القبائل المغربية، فإنه اختار مجموعة من المتحمسين للإباضية وأرسلهم الى مركز الدعوة في البصرة واطلق عليهم تسمية "الخمسة النفر حملة العلم إلى أرض المغرب" (ابو زكرياء، 1982، ص39) وعادوا الى بلاد المغرب بعد خمس سنوات وصاروا هم قادة الإباضية التي انضوت تحت لواءها عدد من القبائل منها: نفوسة، هوارة، زناتة، لماية، سدراتة وبنو واركلا وهم من زناتة وسميت وارجلان باسمهم، وشارك اهل هذه المنطقة في ثورات الإباضية الاولى بعد ان اعدهم القادة الإباضيين عسكرياً وعقائدياً، تمكنوا من السيطرة على عدد من المناطق في المغرب الأدنى والاوسط وقاموا بعدد من الثورات ضد الولاة الامويين ومن ثم العباسيين، ومن ابرز تلك الثورات التي قادها أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري من حملة العلم، وتمكن من السيطرة على افريقية وطرابلس الان ان الولاة العباسيين تمكنوا من دحره قرب تاورغا[9] سنة 144هـ (محمد و عمر، 2017،ج4، ص328)، وقتل فيها أبو الخطاب وانهزم الباقين من الإباضية الى المغرب الأوسط ونظموا انفسهم تحت راية عبد الرحمن بن رستم الذي هو الآخر من حملة العلم، وأسسوا الدولة الرستمية وعاصمتها تاهرت وامتاز حكمه بالعدل والحكمة " فلم ينقم أحد عليه في خصومة ولا حكومة ولا اخذ مال ولا إقامة حد ولا ميل الى الدنيا" (الشماخي، 1987،ج1، ص125)، فبهذا يكون عبد الرحمن بن رستم أول من ارسى دعائم دولة إباضية في المغرب الأوسط حوالي سنة 160هـ، شملت مناطق واسعة فيه بما فيها واحة وارجلان، وأنشىء نظام حكم وراثي في عائلته واستمرت ما يقارب مئة وست وثلاثين عاماً وسقط على اثر النزاعات الطائفية والقبيلية وصراعات البيت الرستمي سنة 296هـ على يد الداعي الفاطمي أبو عبد الله الشيعي (ابن عذاري، 1983،ج1، ص197).

بعد ان حدثت الانشقاقات في الإباضية عقب الاعتراض على سياسة خلفاء عبد الرحمن بن رستم، فنرى اول انشقاق وقع في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن، وظهر فرقيين احدهما يدعى الوهبية الموالين للامام عبد الوهاب والآخر النكار المنحازيين لابن فندين -وهو احد الستة أصحاب مجلس الشورى الذي اسسه عبد الرحمن بن رستم- ، ونتيجة لهذا الخلاف انتجه الإباضين المعارضين للإمام عبد الوهاب لواحة وارجلان وبذلك ازادت اعداد الاباضية هناك ، فضلاً عن وجود اباضية وهبية وكذلك معتزلة ووجود قليل لأهل السنة المالكية (اسماعيل، 2022، ص312)، وهجرة أخرى للإباضية الى ورجلان حدثت على اثر النزاع الذي حصل بين أفراد البيت الرستمي سنة 281هـ على الإمامة بين ابي حاتم يوسف بن ابي اليقضان وعمه يعقوب بن افلح وظلت الحال سجالا بين الطرفين الى ان خرج يعقوب بن افلح ومن معه وذهبوا الى وارجلان، واستقبله كبير علماء الإباضية هناك وهو أبو صالح جنون بن يمريان واراد ان ينصبه إماما للإباضية الإ انه رفض وبقي في وارجلان معززاً مكرم الى ان توفي ودفن فيها (الباروني، 2005، ص 346-347).

وعند اسقاط الدولة الرستمية في تاهرت سنة 296هـ ودخول الفاطميين بقيادة الداعي الفاطمي أبو عبد الله الشيعي، ظلت وارجلان تتمتع بحكم ذاتي بحكم موقعها الحصين في وسط الصحراء ومحاطة بالقلاع والحصون، فأنها ظلت عصية على الفاطميين، ورفض أهلها استقبال الامام الفاطمي عبيد الله المهدي لذا بعد ان استقر له الامر " انتخب من عسكره اولي القوة والعدد والسلاح الشائك، فجعل عليهم عاملاً وانفذهم الى وارجلان" (ابو زكرياء، 1982، ص171)، لم يتمكنوا من فتحها واستبسل أهلها في الدفاع عنها واستطاعوا بفضل الخطط المحكمة التي وضعوها من كسر الحصار الذي فرض عليهم ورجع الجيش الفاطمي دون تحقيق انتصار يذكر (ابو زكرياء، 1982، ص172)، ونرى ان أهل وارجلان آووا أبو يزيد مخلد بن كيداد لمدة سنة وايدوه ثورته ضد الفاطميين على الرغم من انهم اباضية وهبية وأبو يزيد من النكار (ابن خلدون، 1981، ج7، ص19) الا انهم فيما بعد تخلفوا عنه، خصوصاً بعد الاعمال العدائية التي ارتكبها أبو يزيد مما أدى الى نفور اغلب اهل المغرب منه (محمد و عمر، 2017، ص202).

بعد ذلك دعم أهل وارجلان ثورة زعماء الإباضية الوهبية أبو خزر يعلى بن زلتاف، وأبو نوح سعيد بن زنغيل في ثورتهم ضد الفاطميين، إلا أنهم هزموا هزيمة نكراء في واقعة بغاي سنة 358هـ، وفرّ سعيد بن زنغيل الى وارجلان وجد المعز الفاطمي في طلبه، ولكنه عفى عنه لامتصاص غضب الاباضين وطلب منه مصاحبته الى مصر (ابو زكرياء، 1982، ص218؛ الدرجيني، د.ت،ج1، ص130)، بعد ذلك حاول الإباضيون في وارجلان بمهادنة الفاطميين ، وظلت واحة وارجلان مركزاً مهماً للإباضية حتى ظهور المرابطين وسيطرتهم على الواحة

هاجر اغلب أهلها الى وادي ميزاب وجبل دمر وبعض جهات مراكش وظلوا يحافظون على تعاليم مذهبهم (جعفر، 2022، ص145).

2: الأوضاع العامة لواحة وارجلان 296-362هـ:

نسلط الضوء في هذا المبحث على الأوضاع العامة للإباضية في وارجلان من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، ونلاحظ انها تمتعت بنوع من الاستقلال الذاتي ابان حكم الرستميين وفيما بعد على عهد الفاطميين لحين ظهور المرابطين وهجرت اعداد كبيرة منهم الى مناطق أخرى في بلاد المغرب.

2.1: التركيبة السكانية والطبقات الاجتماعية في وارجلان:

سكن وارجلان منذ القدم البربر وسميت الواحة باسم قبيلة واركلا وهي " إحدى بطون زناتة " (ابن خلدون، 1981، ج7، ص69)، وكذلك بنو مغراوة ومنهم بنو ريغ وبنو ورماز وكلهم من زناتة، فضلا عن قبيلة سدراتة وهي بطن من بطون قبيلة لواتة، وكذا ووجود قبائل أخرى مثل يفرن وزنداك وغيرها، ولا نغفل وجود جماعات من العرب الفاتحيين الذين وردوا الى المنطقة بعد عمليات الفتح (صيد، 2022، ص20-21) وقطنها ايضاً الزنوج السودان بحكم حركة التجارة بين وارجلان وبلاد السودان، (اسماعيل،2022، ص321).

وكما هو معروف فأي تجمع سكاني تكون هناك طبقات اجتماعية ونجد في وارجلان هذا الأمر واضح ففي أعلى الهرم هم طبقة المشايخ الذين يتمتعون بسلطة دينية ودنيوية تتمثل في القاء الدروس في المسجد، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستلام الحقوق الشرعية وتفريقها في صالح الامة، ومن ابرز شيوخ الإباضية الذين سيروا أمور الواحة بعد سقوط الدولة الرستمية هو أبو يعقوب يوسف بن سهلون السدراتي المعروف بالطرفي، ووصف بأنه "ذو الجهادين الأكبر والأصغر، والاجتهادين المصلى والدفتر ... كانت قراءته على الائمة بتاهرت" (الدرجيني، د.ت، ج2، ص331)، وكذا الشيخ أبا صالح جنون بن يمريان الذي كان يحكم بالعدل في الواحة ولم يشترك في الأمور السياسية فيذكر عنه "كانت وارجلان في عصره مستقله عن جميع الدول الحاكمة، تحكم نفسها بنفسها، يقيم العلماء احكام الإسلام فيها" (معمر،2008، ص117)، ونستدل من هذا النص على الأهمية الروحية للمشايخ في نفوس اهل وارجلان وتأثيرهم الكبير في تسيير أمور الواحة.

والطبقة الأخرى المهمة في وارجلان وهم التجار الذين بفضل تجارتهم مع بلاد السودان ارتفع المستوى الاقتصادي للواحة وذكرها الرحالة والمؤرخين بأن أهلها مياسرة واغنياء (الادريسي، 1989، ج1،ص296)، وان هذا النشاط الاقتصادي أدى الى تطور عمراني فيذكر انها بلد "مستبحر العمارة نافق الأسواق" (ابن خلدون،1981، ج6،ص270)، وقد اثر الاباضيون بشكل مباشر في التجارة وازدهارها كونهم يحثون اتباعهم على التجارة، وحسن معاملة الناس على اختلاف اديانهم ومذاهبهم، وهذه الأمور فضلاً عن الازدهار الاقتصادي أدت الى نشر الدين الإسلامي في عموم المناطق التي تاجروا بها لما تحلوا به من مكارم الاخلاق و نشر الدين بالحكمة والموعظة الحسنة (ابو الوفا،2017، ص51).

والطبقة التي تصنف في قاعدة الهرم وهم العبيد، وتعد وارجلان ممرا لعبور العبيد من جنوب افريقيا الى شمالها وعرفت وارجلان بأنها "بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية" (ابن سعيد المغربي،1431 ، ص27) ، وقد اباح المذهب الاباضي بيعهم وشراءهم، وكذلك استخدموا في الخدمة والسخرة، ونرى انتشار العبيد في وارجلان سواء للتجارة بهم أو لاستعمالهم في الخدمة والزراعة وحفر الابار دليل على ارتفاع المستوى الاقتصادي لأهل وارجلان، ويجب أن لاننكر الظروف السيئة التي عانى منها العبيد شأنهم في كل زمان ومكان (صيد، 2022، ص23).

2.2: التعليم في وارجلان:

نظراً للنكبات التي تعرض لها الاباضيون بعد سقوط الدولة الرسمية فقد قرروا الانتقال الى مرحلة الكتمان والحفاظ على مذهبهم بهدوء خصوصا بعد ان رفض سليل البيت الرستمي يعقوب بن افلح اعلان الإمامة من وارجلان وانه لا قبل له مواجهة الفاطميين، ووفق هذه المستجدات السياسية والمذهبية عقب السيطرة الفاطمية على بلاد المغرب الأوسط، اضطروا الى مهادنة الفاطميين لحين حدوث الفرصة المناسبة (قوجة، 2014، ص50)، لذا صار هناك نظام تعليمي عبارة عن حلقات للدرس تعقد في مساجد وارجلان لتدريس أصول الإباضية لنقلها الى الأجيال المتعاقبة دون التحريض على الثورة ضد الفاطميين، لتجنب سخطهم (اسماعيل، 2022، ص 325).

ويمكن القول ان من اهم الأشخاص الفعالين في الحركة العلمية بورجلان هو الشيخ أبو صالح جنون بن يمريان الذي استقبل سليل البيت الرستمي يعقوب بن افلح بعد سقوط تاهرت وعرض عليه الإمامه الا انه رفضها كما مرّ ذكره، وكان أبو صالح كبير شيوخ الاباضية في وارجلان وينفق على الفقراء والمساكين وله مسجد باسمه في وارجلان وقيل في كرمه وعلمه "كان عالماً ورعاً سخياً ذا كرامات...وهو احد اقطاب الدين وثمال[10] اليتامى

والمساكين" (الشماخي ، 1987،ج2،ص45) ومن النص نستدل على المكانه المرموقة لهذا الشيخ بين الاباضية، ولا يمكن اغفال الدور الذي لعبه يعقوب بن افلح بعد استقراره في وارجلان في تعليم المذهب الإباضي فيذكر انه سؤل ذات يوم عن حفظه للقرآن الكريم فأجاب: " معاذ الله ان ينزل على موسى وعيسى ما لم احفظه واعرف معناه، فكيف بكتاب انزله الله على نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم" (ابو زكرياء، 1982، ص199)، ويدل هذا النص على اقبال عامة الاباضية في وارجلان على الاستفادة من يعقوب بن افلح كونه من البيت الرستمي وكان اماماً للإباضية قبل ان يعزله ابن أخيه.

وخلف يعقوب بن افلح أبو سليمان وكانت له اجتهادات خاصة خالف عموم شيوخ الاباضية فيها، وقيل ان والده حذر منه وقال عنه انه قرأ كتب المخالفين للمذهب الإباضي، وكذلك ناضره الشيخ أبو صالح جنون بن يمريان وعاب عليه تبنيه عدد من الفتاوى المخالفه لتعاليم الإباضية، الا ان جموع من أهل وارجلان التفوا حوله وسموا بالفرثية (الدرجيني، د.ت،ج1، ص106)، ويمكن القول ان في وارجلان كان هناك حراكاً علمياً تتبعه عامة الناس مصدره شيوخ الإباضية وهذا يدل على مدى تأثيرهم في المجتمع في واحة وارجلان.

وعند فشل ثورة أبو خزر يعلى بن زلتفاف وأبو نوح سعيد بن زنغيل ضد الفاطميين فقد لجأ الاثنان الى واحة وارجلان، وعند علم المعز الفاطمي بذلك ارسل في طلبهم لعلمه بمكانتهم العلمية واستطاعتهم على اقناع المذاهب الأخرى في المناظرات، فقبل أبو خزر مصاحبته (ابو زكرياء، 1982، ص205)، اما أبو نوح سعيد بن زنغيل ادعى المرض ورفض السفر، واستقر في وارجلان يدرس أصول المذهب الإباضي فذكر انه: " كانت جماعة اهل وارجلان تجتمع في مسجد الشيخ جنون منهم المستفيد منه علما، ومنهم المتبرك بمشاهدته والمشارك بما يعرض من أمور دينه ودنياه" (الدرجيني، د.ت،ج1، ص144).

ومما تجدر ملاحظته ان من سقوط تاهرت على يد الفاطميين سنة 296هـ لم يتمكن الإباضيين رغم الثورات التي قاموا بها ومن ثم المهادنة من تأسيس نظام تعليمي متكامل الأركان وانما اعتمدوا فقط على ما تناقلوه من علوم داخل حلقات الدرس في المساجد الى ان ظهر نظام جديد عرف بنظام العزابة أسسه الشيخ الإباضي المعروف محمد بن بكر، ونزل الى وارجلان ليثبت نظام حلقة العزابة كان ذلك في حدود سنة 409هـ (محمد و عمر، 2017، ص207) وقد تنبه الشيخ الاباضي أبو نوح سعيد بن زنغيل لنباهة محمد بن بكر الذي كان احد ابرز طلبته وقال عنه: " ان كنت افهم شيء، فإن هذا الفتى هو الذي يحيي دين الله" (ابو زكرياء، 1982، ص263).

2.3: الاقتصاد في وارجلان:

كما هو معروف فان وارجلان هي واحة وبطبيعة الحال أغلب نشاط سكانها يعتمد على الزراعة وهذا المورد المهم الذي كان السمة الأساسية للإنسان مع التجارة قبيل الثورة الصناعية، ووصفت وارجلان بكثافة بساتينها وعرفت بانها " بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدن مسورة حصينة ... وهى بلاد كثيرة الزرع والضرع والبساتين، كثيرة المياه" (مجهول، 1986، ص224)، ونظراً للنظام العادل الذي اتبعه الإباضية في الري فان هذه المنطقة ازدهرت اكثر وصاروا يتثمرون المياه وقت الوفرة لسقي اكبر مساحة ممكنه لزراعتها، وكان نظام الزراعة عبارة عن شق قنوات وسواقي وزراعة الأشجار والنخيل على ضفاف الوديان، وان المساواة بين عامة الاباضية خلق توزيع عادل للثروات، خصوصاً بعد اخراج الحقوق الشرعية منها لعل أهمها الزكاة التي تصرف في تنظيم أمور الواحة، وكان يقوم بهذه المهمة شيوخ الإباضية الذين يتمتعون بسلطة روحية على وارجلان (قوجة، 2014، ص52)، ويذكر ان تطور الواحات في صحراء المغرب الأوسط بين قابس و سجلماسة مدينةٌ للخوارج بفرعيهم الإباضي والصفري (غوتيه، 2010، ص 172).

وتعد التمور من المحاصيل المهمة في وارجلان، وكانوا يضيفون زوارهم تمراً، فضلاً عن زراعة الحنطة والشعير، والتين والرمان واشجار الزيتون، ويصدر الفائض من الحنطة الى بلاد السودان، وارتبط مع هذا النشاط الزراعي بتربية ورعي الحيوانات لعل أهمها الأغنام والماعز والابل والخيل (زاجية، 2021، مج4، ص455-456)، وكانت الإبل تتصدر عناية أهل وارجلان وذلك لتحملها قساوة الصحراء واستخدامها في التنقل فيذكر ان اعدادها كانت كثيرة ورخيصة (الدرجيني، د.ت، ج2، ص332)، وبهذا تكون الزراعة وتربية الحيوانات من اهم ركائز النشاط الاقتصادي في وارجلان فضلاً عن عمل أهلها في التجارة التي كانت مزدهرة أيام سيطرة الإباضيين على الواحة، واضحت وارجلان هي صلة الوصل بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى، وكانت لحركة التجار أوقات معينة وطرق محددة يسلكونها في الصحراء، وقد ادرك أهل وارجلان أهمية موقهم للتجارة مع بلاد السودان ، فعملوا على تسهيل أمور القوافل التجارية فحفروا الآبار على طول الطريق الرابط مع بلاد السودان، وكذلك بنوا الفنادق لاستقبال التجار، وتحديد أماكن لبضائعهم، وحضائر لدوابهم وقد أطلق أهل وارجلان على هذه المناطق بالأسواق(زاجية، 2021، ص463) .

وبالنسبة للبضائع التي يصدرها أهل وارجلان فكان أهمها التمر فيذكر:" وليس في بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب يجلبه إليهم أهل وارقلان الصحراء" (الادريسي،1989، ج1، ص20)، وكانت بضائع الشمال تمر بهم فيتاجرون بها ومنها الاواني النحاسية ومنتجات الحديد والزجاج والمنسوجات القطنية والحرير، اما من الجنوب فكانت قوافل الذهب وتجارة الرقيق تحل بهم وبهذا ازدهرت الواحة ازدهاراً كبيراً (العربي، 1983، ص159-160).

ونظراً لمرور قوافل الذهب –التبر- عبر واحة وارجلان أدى هذا الامر بطبيعة الحال الى ضرب السكة ويذكر ان في" وارقلان... وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم وهم وهبية إباضية نكار" (الادريسي،1989، ج1، ص296)، ونظراً لزيادة الأموال ووفرتها ووجود الموارد البشرية وبالخصوص العبيد الذين استخدموا للخدمة في البيوت وكذلك في الزراعة وجني المحاصيل الزراعية (زاجية،2021،ص454) ازدهرت الحياة الاقتصادية في واحة وارجلان واستفاد الاباضيون من ذلك مما عزز استقلالهم المادي والفكري عن الدولة الفاطمية التي سيطرت على بلاد المغرب.

ولابد أن نذكر ان واحة وارجلان كانت تزخر بالصناعات المحلية التي جلبها معهم الاباضيون بعد سقوط الدولة الرستمية فيذكر ان "الصناع فيها كثيرون، وسكانها اغنياء جداً" (الحسن الوزان،1983 ، ج2، ص136) ومن اشهر الصناعات اليدوية فيها صناعة الملابس من الصوف وجلود الحيوانات، وصناعة السلال والاطباق من سعف النخيل، وصناعة المعاول والفؤوس واستخدامها في حفر الآبار وفي الزراعة، (زاجية،2021 ، ص461) وهذا الامر يدل على مدى الاكتفاء الذاتي في واحة وارجلان بتوفر الصناعات المحلية، وكذلك التجارة مع البلدان المجاورة، فضلاً عن كونها منطقة زراعية خصبة، وبالادارة الفاعلة للإباضيين الساكنين في واحة وارجلان جعلها منطقة مزدهرة طيلة القرنين الثالث والرابع الهجريين الى حين تخريبها على يد المرابطين.

الخاتمة:

بعد سقوط الدولة الرستمية الإباضية على يد الفاطميين سنة 269هـ/909م إضطر أتباعها في تاهرت والمناطق المحيطة بها الى الهجرة لمناطق مختلفة في بلاد المغرب، ومن هذه المناطق الهجرة الى واحة وارجلان في الصحراء وبالتحديد تقع وارجلان او ما يعرف بورقلة حالياً في جنوب شرق دولة الجزائر، وفي واحة وارجلان تمكن الإباضيون من:

- تأسيس نظام شبه مستقل عن الدولة الفاطمية التي كانت تحكم شمال بلاد المغرب وقضت على الدويلات فيه ومنها الدولة الرستمية الإباضية.
- محاولة مشايخ الإباضية في واجلان النأي بها عن الصراع الدائر في بلاد المغرب خصوصاً بعد فشل الثورات التي قاموا بها ضد الفاطميين منها ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد، وكذالك ثورة أبو خزر يعلى بن زلتاف، وأبو نوح سعيد بن زنغيل، لذا ركنوا الى مهادنة الفاطميين وترتيب أمور الواحة الداخلية.
- عمد شيوخ الإباضية على نشر تعاليم المذهب الإباضي والمحافظة عليه من الإندثار عبر إقامة حلقات للدرس، تطورت فيما بعد الى نظام تعليمي متكامل عرف بنظام العزابة.
- استطاع أهل وارجلان من إقامة علاقات اقتصادية متميزة مع البلدان المجاورة واستغلوا موقع الواحة المميز الرابط بين بلاد السودان وشمال افريقيا، وامنوا الطرق التجارة واقاموا الفنادق واستقبلوا التجار، مما وفر بيئة مثالية للازدهار الاقتصادي في الواحة وانعكس هذا الأمر على عموم السكان فارتفع المستوى الاقتصادي لهم.
- كان في الواحة تجار اغنياء اشتهروا بتجارة التبر –الذهب- ونتيجة لوفرة هذا المعدن الثمين في الواحة فقد ضرب النقود فيما بعد فيها.
- ازدهرت الواحة من الناحية الزراعية، اذ قام شيوخ الإباضية بإدارة الثروة المائية وتوزيعها بشكل عادل واستثمار اكبر قدر ممكن من المياه لزراعة الأراضي الصالحة للزراعة، وقاموا بتصدير الفائض منها الى بلاد السودان ولعل اهم منتجاتهم الزراعية وهي التمور.
- ظلت واحة وارجلان مزدهرة في مدة سيطرت الفاطميين على بلاد المغرب الى أن خربت الواحة على عهد المرابطين، واضطر اغلب سكانها للهجرة الى أماكن أخرى في بلاد المغرب.

الهوامش

[1]) تعد كل البلدان التي تلي مصر هي من بلاد المغرب وقسم إلى ثلاث مناطق: المغرب الأدنى من برقة وطرابلس وافريقية، والمغرب الأوسط من مدينة بجاية حتى وادي ملوية، والمغرب الأقصى ما يلي ذلك حتى المحيط الأطلسي. ينظر: لقبال، موسى، المغرب الاسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981،

ص15؛ مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص4؛ العبادي، احمد مختار، في تاريخ المغرب والاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.، ص10-11.

[2]) غانة: وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان يجتمع إليها التجار ومنها يدخل في المفازات إلى بلاد التبر ولولاها لتعذّر الدخول إليهم لأنها في موضع منقطع عن الغرب عند بلاد السودان فمنها يتزوّدون إليها. ينظر : ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، ت: 626هـ، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995، ج4، ص184.

[3]) ونقارة: من مدينة غانة إلى أول بلاد ونقارة ثمانية أيام وبلاد ونقارة هذه هي بلاد التبر المشهورة بالطيب والكثرة وهي جزيرة طولها ثلاث مائة ميل وعرضها مائة وخمسون ميلا والنيل يحيط بها من كل جهة. ينظر: الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله، ت: 560هـ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ، ج1، ص24.

[4]) كسيلة الاوربي: زعيم قبيلة اوربة من البربر اسلم في زمن الفتوح الإسلامية لبلاد المغرب على يد القائد أبو المهاجر دينار ، بعد عزل الأخير وتولي عقبة بن نافع قيادة جيوش الفتح وسياسته تجاه البربر ولم يبقي على العهد مع قبيلة اوربة التي اسلمت مما جعل كسيلة ينقلب عليه ، وحوصر عقبة وجيشه في تهودة وقتل سنة 63هـ، ودخل كسيلة افريقية وظل فيها الى ان أرسلت القيادة الاموية زهير بن القيس وجرت معركة قرب برقة عرفت بمعركة ممس قتل فيها كسيلة سنة 71هـ. ينظر: مؤنس، حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت، ص167 وما بعدها.

[5]) تبالة: بفتح اوله وهو موضع في اليمن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص9.

[6]) سلمة أو سلامة بن سعد بن علي بن اسد الحضرمي اليمني انطلق من الجزيرة العربية الى افريقية، ونشر دعوته في بلاد المغرب وصار عنده اتباع ومريدين انتخب منهم مجموعة وأرشدهم بالتوجه إلى البصرة ليعودوا فيما بعد محققين كل ما كانت تطمح إليه الحركة الأباضية، ويعتقد ان وفاته حوالي 105هـ . ابو زكرياء، يحيى بن ابي بكر الوارجلاني، ت: ق5هـ، كتاب سير واخبار الائمة، تحقيق: اسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1982م، ص41.

[7]) تلمسان: من مدن المغرب الأوسط، لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين، وحول هذه المدينة قبائل زناتة وغيرهم. ينظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي، ت: 487هـ، المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 م ، ج2، ص745 .

[8]) سرت: سرت : مدينة على ساحل البحر المالح -البحر المتوسط- ومن سرت إلى أطرابلس عشر مراحل وإلى أجدابية ست مراحل ، ويسكنها قوم من مزاتة وهم الغالبون عليها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص206.

[9]) تاورغا: تقع بين طرابلس وسرت، و تبعد عن طرابلس ثمان ايام . ينظر: ابو زكرياء، سير الائمة واخبارهم، ص68.

[10]) ثمال: من الفعل ثمل وتعني الملجأ والغياث الذي يقوم بأمر القوم في الشدة. ينظر: المعجم الوسيط، ط2، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1972، ج1، ص100.

المصادر والمراجع:

ابن خلدون، ع. (1981). العِبَر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. (خ. شحاته، Ed.) بيروت: دار الفكر.

ابن سعيد المغربي، أ. (1431). الجغرافيا. رياض: المكتبة الشاملة.

ابن عذاري، ا. (1983). البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب (Vol. ط3). (ج. ك. بروفنسال، Ed.) بيروت: دار الثقافة.

ابو الوفا، ا. (2017). احكام القانون التجاري في الفقه الاباضي. عَمان: وزارة الاوقاف والشؤون الدينية.

ابو زكرياء، ي. (1982). سير الائمة واخبارهم (Vol. ط2). (ا. العربي، Ed.) بيروت: دار الغرب الاسلامي.

اسماعيل، س. (2022، 4-5 1). نظام العزابة عند اباضية وارجلان في عهد الخلافة الفاطمية بالمغرب 297-362. حوليات اداب عين شمس، 334-319 .pp.

الادريسي، م. (1989). نزهة المشتاق في اختراق الافاق. بيروت: عالم الكتب.

الاشعري، ا. (1980). مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين. (ه. ريتر، Ed.) المانيا، المانيا: دار فرانز شتايز.
الباروني، س. (2005). الأزهار الرياضية في ائمة وملوك الإباضية. (م. ع. الصليبي، Ed.) لندن: دار الحكمة.
البكري، ع. (1992). المسالك والممالك. بيروت: دار الغرب الاسلامي.
الحسن الوزان، ا. (1983). وصف افريقيا (Vol. ط2). (م. ا. الاخضر، Trans.) بيروت: دار الغرب الاسلامي.
الدرجيني، ا. (د.ت). طبقات المشائخ بالمغرب. (ا. طلاي، Ed.) قسنطينة، الجزائر: مطبعة البعث.
الشماخي ، ا. (1987). السير. عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة.
الشهرستاني، م. (د.ت). الملل والنحل. د.م: مؤسسة الحلبي.
العربي، ا. (1983). الصحراء الكبرى وشواطئها. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
المدني، ا. (1931). كتاب الجزائر. د.م: المطبعة العربية.
جعفر، م. (2022). موقف العامة من الخوارج الإباضية في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري. جامعة كربلاء، التاريخ. كربلاء: كلية التربية للعلوم الانسانية.
حريشة، ج.، خالدي، ب.، & سريج، م. (2022، 12 1). دور القوافل التجارية في تقوية الصلات الاجتماعية بين الحواضر المغاربية ما بين 1730 - 1830 م. المجلة التاريخية الجزائرية، 396-377 .pp.
زاجية، ه. (2021، 30 9). وارجلان دراسة اقتصادية. مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية في شمال افريقيا، pp. 449-471.
صيد، ع. (2022، 6 1). مدينة وارجلان، تنظيمها الاجتماعي ودورها التجاري خلال العصر الاسلامي. مجلة هيرودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، 27-6 .pp.
غوتيه، أ. (2010). ماضي شمال افريقيا. الولايات المتحدة الامريكية: مؤسسة تاولات.
قوجة، ا. (2014). تاريخ الاباظية الديني والساسي من القرن الأول الى القرن السادس هجري. تونس: الدار التونسية للكتاب.
مجهول. (1986). الاستبصار في عجائب الامصار. بغداد: دار الشؤون الثقافية.
محمد، ز.، & عمر، ب. (2017، جوان 1). الحركة العلمية بوارجلان من خلال نظام حلقة العزابة ما بين القرن (4-6هـ): علم الكلام نموذجا. مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، 222-199 .pp.
معمر، ع. (2008). الإباضية في موكب التاريخ. عُمان: مكتبة الضامري.
ياقوت الحموي، ش. (1995). معجم البلدان (Vol. 2). بيروت: دار صادر.

المستخلص باللغة الانكليزية

Abstract

Objectives: This study aims to examine the general conditions of the Wargelan Oasis after it became a refuge for Ibadi groups fleeing the Fatimid armies following their domination of the Maghreb and the fall of several states, including the Ibadi Rustamid state in the central Maghreb and the destruction of its capital, Tahert. As a result, the Ibadis migrated to various regions, among them the Wargelan Oasis, which had already been one of the important centers of Ibadi propagation. There, the Ibadis established a semi-autonomous system of governance, largely independent from Fatimid control.

Methodology: The researchers adopted the historical method, drawing upon classical historical narratives and texts, whether from general sources or from Ibadi historians. Modern studies that provide additional information and analysis relevant to the subject were also utilized.

Findings: The study concludes that the Wargelan Oasis witnessed significant prosperity after the settlement of Ibadi migrants, who secured trade routes and organized public affairs. Ibadi scholars and sheikhs played a crucial role in managing both the social and

economic life of the oasis, while also shielding its inhabitants from ongoing political conflicts in the Maghreb. This stability enabled the people of Wargelan to enjoy a relatively peaceful life, and it facilitated the spread of Ibadi teachings deep into the .African continent